رسول الله ﷺ علمني

بشرح المهندس علاء حامد

ملخص

المحاضرة الثالثة عشر

قصة آسيا والماشطة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَمَّا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَ، أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، فَقُلْت: يَا جِبْرِيلُ ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلادِهَا، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ سَقَطَتْ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكِ اللَّهُ، قَالَتْ: أُخْبِرُهُ بِذَلِكَ! قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرَتْهُ، فَدَعَاهَا فَقَالَ: يَا فُلانَةُ؛ وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ؛ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكِ؟ قَالَتْ: أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنَنَا، قَالَ: ذَلِكَ لَكِ عَلَيْنَا مِنْ الْحَقِّ، قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضَعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمَّهْ؛ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، فَاقْتَحَمَتْ.

ماشطة بنت فرعون كانت تعيش فى قصر فرعون ومن الواضح أنها تُعامل معاملة فخمة جدا ومن الواضح أن بنت فرعون متعجرفة ومتكبرة وهذا ما نلحظه من أسلوب حديثها.

ما نستفيده هنا :

- أن الماشطة كانت فى قصر فرعون وموسى تربى فى قصر فرعون وزوجة فى فرعون وكلهم لم تمنعهم الظروف من كونهم فى قصر فرعون من الإيمان بل إن الماشطة وزوجة فرعون كانوا أسرع إيماناً بسيدنا موسى عليه السلام رغم أن فرعون حاول

تشويه صورته وقال عنه إنه لمجنون ولكنهم لم ينخدعوا بفرعون لأنهم رأوا بأعينهم أخلاقه وعفته لما عاش معهم فالقصر لذلك كانوا أسرع إيماناً به.

عندما سقط المشط من يد الماشطة قالت بسم الله وهذا لا يحدث عفوياً إلا لشخص مدمن للذكر وهذا يدل على إيمانها العميق وأن لديها أوراد وأذكار وعبادات كثيرة لدرجة أنها ألفتها ولما كانت فى لحظة حرجة أمام بنت فرعون غلبتها العفوية فإذا أردت أن تعرف حقيقتك تأمل عفويتك لأن دائما العفوية لا تكذب، فمثلا حينما يسأل البعض كيف نتعرف على أمراض القلوب نقول نعرفها من العفوية .

المواقف العفوية هى التى تبين الصدق من الكذب،وهذه المرأة من الملاحظ أنها كانت تحافظ على الأذكار بشكل كبير والنبى صلى اللَّه عليه وسلم ذكر أن الذى يذكر الله حال انتباهه من النوم له مقام كبير عند الله لأنها من أصعب لحظات العفوية لأن العقل يكون شبه غائب تماماً بين النوم واليقظة فمعنى أنك تتذكر وتقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وسبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر فهذا أجره كبير لأن النبى ﷺ قال «من تعار من الليل، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلى، قبلت صلاته".

استحضارك للذكر بشكل عام يدل على حضور الله فى قلبك وصدق إلتزامك ،وورد عن طلحة بن عبيد الله أنه كان كثير الذكر بالله وفى غزوة أحد كان يصد السيوف عن النبى صلى اللَّه عليه وسلم وفى مرة كان السيف سينزل على رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم فصده بيده فقُطعت صوابعه فقال حس فقال له النبى لو أنك قولت بسم الله لرفعتك

الملائكة ولكنه نسيها فهنا نقول كلما تنسى ذكر الله عزوجل تخيل كم الأجر الكبير الذى سيفوتك .
حقيقتك تعرفها عند الصدمات الأولى وعند العفوية وعند المفاجئات فاعرف نفسك فى هذه المواقف قال النبى صلى الله عليه وسلم «إنما الصبر عند الصدمة الأولى ».

هل الإكراه كان جائزاً فى من كانوا قبلنا؟

هذه مسألة خلافية بين العلماء ولكن من العلماء من يقول أن الإكراه كان جائزاً لأمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه ما ورد عن النبى فى حديث «رُفِعَ عن أُمَّتي الخطأَ والنِّسيانَ وما استُكْرِهوا عليهِ» واستدلوا أيضاً بقول فتية أصحاب الكهف:

﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾

أى لم يكن لهم خيار آخر إلا القتل أو الرجوع عن الدين فإذا كان الإكراه غير جائز فى من كانوا قبلنا نقول أنها لذلك لم تقول كلمة الكفر ولو كان جائزاً وكان لهم رخصة فى ذلك فنقول لعلها اختارت العزيمة والثبوت والتحمل.

نلحظ فى هذه المرأة الإستعلاء الإيمانى العجيب أمام فرعون بكل قوته وتقول له ربى وربك الله فهذا عجيب لأن فرعون كان صعب للغاية حتى إن موسى عليه السلام قال:

﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾

وكان عذاب فرعون عذاب غير عادى لدرجة حتى لدرجة أنه عذب زوجته عذاباً شديداً عندما آمنت، فموسى عليه السلام عندما واجه فرعون ثبته الله قال:

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾

وهذا يعطيك فائدة أن الثبات يأتيك فى اللحظة التى تكون فى أشد الحاجة إليه ،الماشطة نفسها عندما وضعت فى هذا الموقف ثبتها الله وأنزل الله عليها إيمان أكبر جعلها تثبت.

رسالة نوجهها لكل الشباب سير فى طريق الإلتزام ،خوفك الذى تشعر به الآن لأنك فى الخارج ولكن عندما تدخل الطريق تجد الدعم والثبات من الله.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

الماشطة لم تُخفى إيمانها وتمعر وجهها عندما قالت لها بنت فرعون أن ربها فرعون فتمعر وجه الماشطة فإذا أردت أن تعرف قدر إيمانك فانظر لحالك حين حدوث المنكرات هل يتمعر وجهك؟ احرص أن يكون عندك حساسية فلا يموت قلبك فإنك لو ترى المنكر ولم تغيره سوف يألف قلبك هذا المنكر ويؤثر عليك.

فرعون تعامل مع الماشطة بالبطش الشديد وهذا حال الطغاه دائما ،ما يذكرنا بقضية الموازنات هذه المرأة عندما اختارت أن تموت هى وأولادها فعلت ذلك لكى لا تترك أولادها ينشئون على الكفر وهذا يجعلك تحمد الله على نعمة الإيمان فإن الإنسان إذا عاش كافراً كان ذلك أسوء إختيار فى الدنيا فهذه المرأة أعملت ميزان الموازنات والمصالح.

عندما أشتدت الفتنة على الماشطة ورأت ابناءها يلقون فى النار أمامها ثم تبقى الرضيع فكانت أن تقول كلمة الكفر ولكن الله عزوجل ثبتها فعلى قدر أهل العزم تأتى العزائم, قال الله عزوجل:

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾

فاطمئن سوف يأتيك المدد والعون من الله فى الوقت المناسب.

يبتلينا الله عزوجل لحكمة والله له حكمة فى اختيار ما يشاء فهناك من الأنبياء قتلوا ولم يمكنوا ومنهم من مكنه الله ومنهم من عاش عزيز ومات

عزيزا وكل هذا عند الله واحد فليس معنى أنه لم يمكن أنه سيء بل كل الاختيارات متاحة والفكرة الوحيدة التى تقول أنك على الحق ثباتك على دينك فى حالة النصر والإستضعاف وما أعطاه الله لك من الإيمان والثبات فهذا قدرك عند الله عزوجل ومن حكم البلاء:-

- يرفع الله به قدر المبتلى.
- يظهر كرامته عليه أنه ثبته للنهاية.
- يرى منه الصبر واليقين والإستعانة والتوكل عليه.
- يعطى الظالم مهلة حتى لا يكون له بعد ذلك عذر ولتحق كلمة الله على الكافرين وتمضى سنة الله.
- وأحياناً يكون الابتلاء ليتذكر الناس ويتعظ.

آسيا زوجة فرعون بلا شك أفضل من الماشطة لأن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أنها واحدة من أفضل أربع نساء قال صلى الله عليه وسلم: «خَيْر نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ بنتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بنتُ مُزَاحِمٍ، وَخَدِيجَةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بنتُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلامُ».

وقيل أنها آمنت بعد دعوة موسى وقيل أيضاً أنها آمنت بعد قصة الماشطة وقيل أن الله أراها بيت الماشطة فى الجنة وكان جزاء الماشطة أن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أنه شم رائحة جميلة فلماذا؟ نقول لأنها احترقت حتى تفحمت واحتراق الجسد له رائحة قوية فكان جزاءها من جنس العمل والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

آسيا أكثر من تعرف موسى فحتى أنه لو خدع الناس كلهم وقاله أنه رب لكنها لا يمكن أن تصدقه فلايمكن أن تخدع زوجتك أبدا وهذه قاعدة مهمة ممكن أن تخدع الجميع ولكن لا يمكن أن تخدع زوجتك أبدا فيمكن أن تتجمل أمامها فترة ولكن ليس بشكل مستمر فالناس لا تعرف عنك شيء وزوجتك تعرف عنك كل شيء فهنا نقول أن شهادة المرأة فى زوجها أعظم شهادة إذا أراد المرء أن يعرف حقيقة نفسه فليسأل زوجته وإذا

أرادت الزوجة أن تعرف حقيقة نفسها فلتسأل زوجها.

نلحظ قوة شخصية آسيا زوجة فرعون لأنها استطاعت منعه من قتل موسى وهو كان يقتل كل الأولاد الذين يولدون فى هذا العام لكنها بقوتها منعته وكلمة (عسى أن ينفعنا) كلمة تظهر لنا حسن ظنها فى الله ورجاءها فيه فهذا الرجاء نفعها وانتفعت بموسى أفضل إنتفاع وكان سبب فى دخولها الإيمان والجنة كما نلحظ أنها تقية ومتواضعة لو أنت وجدت طفل صغير لن تقول له سوف تنفعنا بل ستقول سوف ننفعك ولكنها لم تقول ذلك لذلك رجاءها وتواضعها وحسن ظنها بالله والدعاء هو من جبر معها فى النهاية.

فتنة آسيا كانت أشد من فتنة الماشطة وذلك لأنها:

- ✓ ذات سلطان.
- ✓ ذات مال.
- ✓ شديدة الجمال.

وتركت كل هذا وعُذبت عذاباً شديداً وعلمتنا جميعاً أنه لا يوجد كلمة الظروف وحطمت هذا الوهم، يوسف عليه السلام نشأ فى قصره ملئ بالفتن وكان بالرغم من ذلك رمز للعفة ..

عندما عذبها فرعون عذاباً شديداً قيل أنها رأت بيتها وهنا تعرضت لنسبة أكبر من الفتن فزاد المدد من الله حتى لدرجة أن فرعون فى اللحظة الذى سوف يرمى عليها الصخرة وجدها تضحك قال انظروا لها مجنونة سوف نقتلها وهى تضحك وقيل فى بعض الروايات أن الله قبض روحها قبل أن تصل الصخرة إليها وقيل إن الملائكة كانت تظللها لأنها كانت فى الصحراء ،هذه المرأة ثبتت لأنها استحضرت الأجر.

عندما طلبت آسيا من الله أن يبنى لها بيتًا قالت عندك وهذا شوق عالى وحب لله فمن له تلك الهمة العالية ؟

كيف أبنى بيتاً فى الجنة؟

1. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعا غير فريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة.
2. قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من قرأ سورة الإخلاص "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة
3. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة وفي رواية أحمد وابن ماجه وبنى له بيتاً في الجنة
4. قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازِحًا، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ»
5. إذا مات ولدٌ لعبدٍ قال اللهُ عزَّ وجلَّ لملائكتِه قبضتم ولدَ عبدي فيقولون نعم فيقولُ قبضتم ثمرةَ فؤادِه فيقولون نعم فيقولُ ماذا قال عبدي فيقولون حمَدك واسترجع فيقولُ ابنُوا لعبدي بيتًا في الجنَّةِ وسمُّوه بيتَ الحمدِ.

دور النساء فى التاريخ الإسلامي:

همة النساء المسلمات لا مثيل لها وما يحدث الآن هو تهميش لدورها فكانت النساء عابدات مربيات حتى أن الإمام ابن عساكر يلقب بحافظ الأمة كان له بضع وثمانون شيخة يتعلم منهم.

- وعن أبي موسى الأشعريِّ، قال : ما أشكل علينا أصحابَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حديثٌ قطُّ فسألنا عائشةَ ؛ إلا وجدنا عندها منه علمًا.
- سئل مسروق بن الأجدع الهمداني: أكانت عائشة تحسن الفرائض؟ قال: لقد رأيت الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونها عن الفرائض.
- السيدة نفيسة بنت حسن وكانت رضي الله عنها مُجابة الدعوة، أظمأت نهارها بالصيام، وأقامت ليلها بالقيام، عرفت الحق فوقفت عنده والتزمت به، وعرفت الباطل فأنكرته واجتنبته، واجتهدت بالعبادة حتى أكرمها الله بكرامات عديدة ،حجت ٣٠ مرة .
- رابعة العدوية قال عبد الله بن عيسى: دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيت على وجهها النور، وكانت كثيرة البكاء، فقرأ رجل عندها آية من القرآن فيها ذكر النار، فصاحت ثم سقطت ودخلت عليها وهي جالسة على قطعة بوري خَلِقٍ، فتكلم رجل عندها بشيء، فجعلت أسمع وقع دموعها على البوري مثل الوكف، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا.

وغيره من الأمثلة الكثيرة لأخبار النساء المسلمات .